مظاهر الحضارة والعلم في الدولة العثمانية

المدارس والأوقاف أنموذجاً

mazahir alhadarat waleilm fi aldawlat aleuthmaniat - almadaris wal'awqaf anmwdhjaan

د. أحمد إسماعيل فتحي

المديرية العامة لتربية صلاح الدين

Da. ahmad iismaeil fathi

ala147ahmar@gmail.com

07707546403

د. عثمان شهاب أحمد

جامعة ديالى - كلية التربية المقداد

Da. euthman shihab ahmad

othmanm@uodiyala.edu.iq

07727409334

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.25

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

الملخص

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وأصحابه وال بيته وسلم تسليماً مزيداً، وبعد:

فإنَّ المرحلة التاريخية (**١٢٩٩م ـ ١٩٢٣م/٩٢٣ ـ١٣٣٧ه**) من التاريخ الإسلامي يطلق عليها: العهد العثماني، أو التاريخ العثماني، وإن لم يكن الحكم العثماني شمل جميع الأمصار الإسلامية؛ لكنَّه ضمَّ أكثرها، إذ امتد على أوسع رقعة من تلك الأمصار.

وقد وصل نفوذ الدولة العثمانية ثلاث قارات في العالم؛ آسيا وشمال أفريقيا، وأوروبا، وبلغت مساحة الأراضي التي سيطرت عليها الدولة العثمانية أكثر من عشرين مليون كيلومتراً مربعاً، أي: ثلاثة أضعاف الولايات المتحدة الأمريكية الآن.

ومن أهم انجازاتهم: فتح القسطنطينية فقد قام السلطان محمد الثاني ـ الفاتح ـ عام **٨٥٧ه/١٤٥٣م**، بمحاصرتها براً وبحراً واشترك في الحصار من الجنود البحرية، **٢٠٠٠٠**، على **٤٠٠** سفينة، أما القوات البرية فكانت **٨٠,٠٠٠**، والمدفعية **٢٠٠** مدفع[١]. ودأب المؤرخون في كتابتهم عن الدولة العثمانية إلى تقسيم تاريخها إلى مراحل القوة والضعف والتراجع والانحطاط، لذلك قسمنا الكتابة وفقاً لذلك، فتكون البحث من أربع مباحث وهي كالآتي.

(١) العثمانيون في التاريخ والحضارة: ص**٤٩**.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.25

almulakhas

alhamd lilah rabi alealamin walsalaat walsalam ealaa sayidina muhamad waealaa alih wa‹ashabih walbaytih wasalam tslymaan mzydaan bieda:

thaman waqt tawil 1299) m 1923 m1337 923 / hi (min altaarikh al‹iislamii yutlaq ealayha :aleahd aleuthmaniu› , aw altaarikh aleuthmaniu , wa‹iin lam yakun alhukam aleuthmaniu shamil jamie al‹amsar ; lknah dma› aktharaha› , iidh amtada ealaa› awsae ruqeat min tilk al‹amsari.

waqad wasal nufudh aldawlat aleuthmaniat thalath qaraat fi alealam ; asia› iisbania , wa‹uwrubaa , wa‹umaris misahat al‹aradi alati saytarat ealayha aldawlat aleuthmaniat› akthar min eishrin milyun mutarjamat mrbeaan› , ay :thalathat› adeaf alwilayat almutahidat al‹amrikiat alan

wamin› ahami anjazatihim :fath alqus̄tantiniat faqad qam alsultan muhamad althaani alfatih eam 857 h 1453 / m , bimuhasaratiha braan wbhraan waishtarak fi alhisar albahriat , 20000 , ealaa 400safinat› , amaa alquaat albariyat fakanat , 000,80 walmidfaeiat 200 midfae .wada‹ab almuarikhun fi kitabatihim ean aldawlat aleuthmaniat› iilaa marahil aljadwal walsafa ‹waltarajue walaintat ,lidha , fa‹iina albahth min› arbae mabahith wahi kalati

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.25

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

المبحث الاول: نشأة الدولة العثمانية

المطلب الأول: الوضع العام في بداية التأسيس:

في بداية تأسيس الدولة العثمانية في الربع الأول من القرن الثالث عشر الميلادي، كانت تسود العالم رهبة وذعر وخوف شديد من الإمبراطورية المغولية التي أقامها جنكيز خان(١).

وقد كان زعيم المغول ـ جنكيز خان ـ استولى على شمال الصين وبدأ زحفه نحو تركستان، وكانت قوته من أعظم القوى البشرية الموجودة في العالم آنذاك(٢).

وفي الوقت نفسه كانت دولة بني العباس قد أخذت في التقهقر شيئا فشيئاً، واستمرّ الانحلال ينخر عظامها حتَّى سَقَطت بِسقُوط دَار السَّلام في قبضة قبائل التتار في ٢٠ محرم سنة: (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، وقتل الخليفة المستعصم بِاللَّه(٣) اخر العباسيين ببغداد بعد ان لَبِثت دولتهم زِيَادَة عَن خَمْسَة قُرُون، واستقل كل حَاكم بِمَا وكل اليه أَمْرَه من الأقاليم، وَاسْتمرّ الْحَال على هَذَا المنوال؛ إِلَى أن تأسست الدولة العثمانية فَجمعت تَحت رايتها اغلب الْبِلاَد الاسلامية وَفتحت كثيراً من الاقاليم الَّتِي لم يسْبق تحليها بحلية الدّين الحنيف وأعادت للإسلام قوته وأعلت بَين الانام كَلمته(٤).

(١) ينظر: العثمانيون في التاريخ والحضارة: ص١٠.
(٢) ينظر: العثمانيون في التاريخ والحضارة: ص١٠.
(٣) المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله ابن المستنصر بالله الهاشمي، الخليفة، الشهيد، ابن المستنصر بالله منصور ابن الظاهر محمد ابن الناصر أحمد ابن المستضيء الهاشمي، العباسي، البغدادي، وبموته انتهت الدولة العباسية، سير أعلام النبلاء: ص ٢٣/ ١٧٤.
(٤) ينظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية: ص١١.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.25

المطلب الثاني: نسب العثمانيين:

ينتسب العثمانيون إلى عشيرة القايي الصغيرة، وكانت هذه العشيرة قد واصلت المسير نحو الأناضول، وكان عددها ٤٠٠ خيمة تضم حوالي: ٤٠٠٠ إنسان، تمت هجرتهم من جنوب غرب الأناضول على مدى عشر سنوات، وكان يرأس هذه العشيرة رجل تركي يدعى: سليمان ألب، خلفه في رئاسة العشيرة بعد وفاته ابنه أرطغرل والد الأمير القبلي عثمان مؤسس دولة آل عثمان والتي عرفت الدولة باسمه فيما بعد[١].

وعشيرة القايي من أتراك الأوغوز هاجرت إلى أواسط آسيا الصغرى في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي، وسكنت في مقاطعة تابعة للدولة السلجوقية[٢].

المطلب الثالث: الترك في بلاد العرب:

إنَّ الظهور التركي أصبح بارزاً في التاريخ العربي منذ العصر العباسي الثاني، ويمكننا تقسيم تاريخهم هذا إلى مرحلتين كبيرتين أساسيتين:

الأ ولى: تبدأ بظهورهم في بغداد رقيقاً إبَّان عهد المعتصم وتنتهي بوصول قادتهم إلى الحكم الفعلي إبان عصر الخلفاء الضعفاء، ومن ثم سيطرتهم فعلياً على زمام الحكم اعتباراً من الظاهر بيبرس[٣].

والثانية: تبدأ بحكم العثمانيين للبلاد العربية عام ١٥١٦م بعد أن قامت دولتهم واشتدّ ساعدها واستمرت هذه المرحلة أربعة قرون حتى عام ١٩١٦م[٤].

(١) ينظر: المصدر نفسه: ص١١.
(٢) ينظر: تاريخ العثمانيين من قيام الدولة الى الانقلاب على الخلافة: ص٣٠.
(٣) ينظر: الدولة العثمانية في الروايات العربية زمن الخيول البيضاء أنموذجاً: ص١٧١.
(٤) ينظر: تاريخ الطبري: ٥/ ٢٩٨.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.25

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

المبحث الثاني: مرحلتي القوة والضعف

المطلب الأول: عصر القوة:

حكم فيه سلطانان فقط هما: سليم الأول(٩١٨/٩٢٦ه)[١]، وابنه سليمان الأول السلطان سليمان القانوني (٩٢٦/٩٧٤ه)، وقد أجمع المؤرخون أن عصر السلطان سليمان الأكبر هو العصر الذي بلغت فيه الدولة أوج قوتها، وأقصى مجدها وعظمتها[٢]، حتى لقب السلطان سليمان القانوني بسلطان البرين والبحرين إذ يعتبر عصره الخط البياني للدولة[٣].

وبعد عصر القوة بدأ الخط البياني للدولة يهبط باستمرار، وإن كان يتوقف عن الهبوط أحياناً، ويسير مستوياً في بعض الأحيان، وذلك لقوة بعض الخلفاء النسبية، أو لهمة بعض حاشيتهم لا سيما الصدور العظام تبعاً لقانون الحياة القاضي بالنشأة ثم القوة ثم الضعف[٤].

(١) السلطان سليم الأول بن السلطان بايزيد الثاني، بن السلطان محمد الفاتح، من سلاطين عصر القوة، تولى العرش بعد عزل والده، كان يميل الى العلم، والى الأدب الفارسي، والتاريخ، في بداية عهده، وقد أطلق عليه كثير من المؤرخين العثمانيين لقب: «الصوفي»، واهتم السلطان سليم بالأماكن المقدسة كالمسجد الأقصى وغيرها، توفي سنة: ١٥٢٠م، ينظر: تاريخ الشعوب الاسلامية: ص٤٥٠، في أصول التاريخ العثماني: ص٧٦.

(٢) الدولة العثمانية النشأة الازدهار: ص٣٤٢؛ صحوة الرجل المريض: ص٤٢.

(٣) ينظر: قيام الدولة العثمانية لحمد فؤاد كوبرلي: ص٥ـ٧.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ص١٠٩.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.25

المطلب الثاني: مرحلة الضعف:

بدأت مرحلة الضعف في الدولة العثمانية بتولي السلطان سليم الثاني (٩٧٤هـ/ ١٥٧٤م) وفي هذه المرحلة توقف الخط البياني للدولة عن الارتفاع، ثم هبط فجأة وبدأت الدولة تتراجع عن أجزاء من أملاكها تدريجياً، حتى لم يبق لها إلا القليل، واستمرت حتى عصر السلطان عثمان الثالث (١١٧١/١٧٥٧م)[١].

المطلب الثالث: عصر التراجع والانحطاط:

إنَّ لكل بداية نهاية، تلك سنة الله تعالى في خلقه، ولكن لتلك النهاية أسباب أدَّت إليها، فبعد التوسع والإرتقاء الذي وصل إليه العثمانيون بدأ الضعف يسري فيهم، ثم التراجع والانحطاط. وبدأ هذا العصر بعد الضعف الذي آلت إليه الدولة العثمانية، وبعد النهضة التي نمت في بلاد الغرب، واتفاق الغرب على حرب العثمانيين واقتسام بلادهم. بدأ هذا العصر بالسلطان مصطفى الثالث (١١٧٦هـ/ ١٧٧٤م)، وانتهى بالسلطان عبد الحميد الثاني(١٣٢٨هـ/ ١٩٠٩م)[٢].

والحضارة هي: «ما توصل إليه مجتمع ما من تقدم مادي في الصناعات والابتكارات والمخترعات والبناء والزراعة وغير ذلك»[٣].

(١) ينظر: المصدر نفسه: ص١٢٣.
(٢) التاريخ الإسلامي، العهد العثماني: ص٩٧ .
(٣) دراسات في الحضارة والمدنية: ص ١٩.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.25

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

المبحث الثالث: المدارس العثمانية

المدارس العثمانية:

تعد عملية التربية والتعليم من العوامل المهمة والأساسية في رقي الأمم، وعنوان مجدها، وقد أولى الإسلام التعليم أهمية كبيرة؛ لذلك فكان أول ما نزل من القرآن الأمر بالتعليم، قال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾[1]، فقد ذكر الله تعالى الأمر بالقراءة ولم يحدد ماذا يقرأ، وفي ذلك دليل واضح على فضل العلم، وأهميته.

ولما كانت الغاية الأساسية من التعليم: هي تنمية القدرات وتطويرها لرفع الجهل عن الإنسان ومجتمعه؛ وتحقيقاً لهذا المطلب السامي؛ أولت الدولة العثمانية التعليم اهتماماً كبيراً.

والمدرسة هي المؤسسة التعليمية التي أنشأها السلجوقيون في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي وطوروها، وتعد المؤسسة الثقافية في الدولة العثمانية للفترة الكلاسيكية، وتدرس اللغتين العربية والتركية معاً[2].

وأسست أول مدرسة عثمانية في أزنيق خلال عام **١٣٣١**م، التي أعطيت حينئذ للعالم المشهور داوود القيصري، وبعد ذلك كان أي سلطان يرغب في تأسيس مدرسة جديدة يدعو العلماء من المراكز الثقافية القديمة في الأناضول كقونية، وقيصرية، وآق سراي، وحتى من بلاد العالم الإسلامي كفارس وتركستان ومصر والشام، فقد جاء علاء الدين الطوسي، من بلاد فارس في عهد السلطان مراد الثاني، وهو ما يشير إلى أنَّ المدارس

(١) سورة العلق الآيات من ١ ـ ٥.
(٢) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية ليلماز أوزتونا: ٤٨٥.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.25

العثمانية أخذت تتطور بسرعة في ذلك الوقت[١].

وخلال تشكل الثقافة العثمانية في القرنين الرابع عشر والخامس عشر كان العلماء يذهبون إلى مصر وتركستان؛ ليستفيدوا من العلماء المعروفين في تلك البلاد، ومن هؤلاء محمد الفناري، وعلي الفناري، وغيرهم.

وسنتحدث عن المدارس في عصر القوة وعصر الضعف فيما يأتي:

المطلب الأول: المدارس في عصر القوة:

بادر السلطان محمد الفاتح في عهده بعد فتح القسطنطينية إلى تأسيس ثمان مدارس، ووضعها تحت تصرف العلماء، وفيما بعد عندما بنى جامعه خلال السنوات (١٤٦٣-١٤٧٠م) أنشأ حوله ثمان مدارس عرفت بـ «مدارس الصحن الثمان» أو «الثمانية» والتي سلمت أيضا لثمانية من العلماء المشهورين[٢].

وبالإضافة لمدارس الصحن الثمان كان هناك ثمان مدارس عالية للتخصصات المختلفة، وثمان مدارس إعدادية لـ «الثمانية» وكان الراتب اليومي للمدرس خمسين أقجة[٣]، وفي كل مدرسة كانت هناك تسع عشرة غرفة وقاعة للتدريس، ومن بين هذه خصصت خمسة عشر غرفة للطلاب في مرحلة التخصص، المعروفين بإسم: «الدانشمند»[٤]، الذين يختارهم المدرس من المتخرجين من المدارس الأدنى، وكان كل

(١) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار: ٢٥٦.

(٢) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار: ٢٥٦.

(٣) وهي قطعة صغيرة من الفضة، ضربت في عهد السلطان أورخان وتساوي بوزن الغرامات: أربع غرامات و ٦١٨ مليغراماً، وعيارها ٩٠ ٪، ينظر: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية: ص٢٠.

(٤) أي طلاب العلم، والدانشمند كلمة فارسية تعني الرجل صاحب العلم والمعرفة، وقد كانت تطلق على طلاب العلم الشرعي حسب الحلقة، أمَّ إذا تجاوز الاختبار فكان يطلق عليه: ملازم،

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.25

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

طالب يحصل على أقجتين في اليوم الواحد من الوقف، وكان يشترط على الطلاب في هذه المدارس التفرغ للدراسة، وقد اعتبرت هذه المدارس الثمان أعلى مؤسسة للتعليم في الدولة العثمانية(١).

وكانت المراحل الدراسية العالية في المدن الكبيرة (استانبول، القاهرة أدرنة، بورصة بغداد الشام، حلب قونية...)، أمَّا مدراس الدرجة المتوسطة فكانت موجودة في كل مدينة وقصبة(٢).

أي إنَّ مدارس المراحل العالية تعادل الدراسات العليا المتخصصة في عصرنا الحالي.

ويطلق على معلمي المدرسة أيَّاً كانت درجاتهم لقب: «مدرس»، وكان المدرسون يتقاضون رواتب أعلى من مدَّرسي ألمانيا، وإنجلترا، وفرنسا، والأقطار الأخرى، وكذلك يلقون احتراماً أكبر، ويطلق على المدارس التي أسسها السلطان سليمان القانوني مدارس السليمانية(٣).

وأمّا عدد المدارس داخل استانبول ـ عدا الضواحي ـ في أواسط القرن السابع عشر الميلادي فكان **١٩٩٣** مدرسة، وفي مدينة أماسيا **٢٠٠** مدرسة، وفي مدينة أرضروم **١١٠** مدرسة، ولم تكن المدراس كما هو الحال اليوم، فقد كانت المدارس صغيرة وعدد طلابها أقل من **١٠٠** طالب، وبعضها **٢٠ ـ ٣٠** طالباً، وفي أدرنة **١٤** مدرسة ابتدائية، وكانت توجد في القاهرة وضواحيها **٦١٧٦** مدرسة في نهاية القرن السابع عشر، فقد زاد عدد المتعلمين في الأعوام **١٨٧٥**م ـ **١٩٠٠**م إلى **٣** أضعاف وقبيل عام **١٩٠٠**م ارتفعت

ينظر: المصدر نفسه، **١٠٩**.

(١) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار: ص**٢٥٧**.

(٢) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية ليلماز أوزتونا: ص**٤٨٥**.

(٣) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار: ص **٢٥٧**.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.25

نسبة التعليم حتى تعلم القراءة والكتابة أكثر الذكور[١].

وأمَّا البنات: فكانت دراستهن لمرحلة الابتدائية فقط، وبنسبة قليلة مقارنة بالذكور، وإنَّ ٩٩ ٪ من البنات المستمرات بالدراسة لا يواصلن التحصيل الدراسي بعد الابتدائية، وكان التعليم العملي للنساء أكثر انتشاراً من التعليم الدراسي كالتوليد، والنقش، وحياكة السجاد، وقد فتحت أول مدرسة للقابلات في استانبول عام ١٨٤٣م وكانت مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات[٢].

وبعد هذه المدارس بدرجة كانت تأتي «دار الحديث» التي أسسها السلطان مراد الثاني في أدرنة، وبعده بدرجات كانت تأتي المدارس التي أسسها السلاطين في بورصة، وبعد هذه المدراس التي أسسها السلاطين كانت تأتي المدارس التي أسسها كبار رجال الدولة في استانبول وأدرنة وبورصة وغيرها من الولايات، ومن أشهر المدارس في ذلك: مدرسة علي باشا في أدرنة، ومدرسة شهاب الدين باشا في بولفديف، ومدرسة محمد باشا في استانبول، ومدرسة أسكي علي باشا في بورصة ومدرسة اسحاق بك في اسكوب[٣].

وقد أنشأ الفاتح معاهد للتعليم تتسع لسكنى الأساتذة والطلاب، ومستشفيات[٤].

وكانت المدارس تلحق بالمسجد، وتنقسم إلى ثلاث مراحل:

١. المدارس الابتدائية ويطلق عليها «المكاتب» وعرفت في القرن السادس عشر باسم: «أوكوماك برليري» ومعناها: أماكن القراءة، وكانت تعلم القراءة والكتابة باللغة العربية

(١) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية ليلماز أوزتونا: ص٤٨٩.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ص ٤٨٨ ـ ٤٩٠.
(٣) تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار: ص٢٥٧.
(٤) ينظر: الأتراك العثمانيون وحضارتهم لكارل بروكلمان: ص٤٦.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.25

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

واللغة التركية، وبعض السور من القران الكريم[١].

٢. المدارس المتوسطة وكان يدرس فيها عدة مقررات من البلاغة والمنطق والنحو، والهندسة وعلم الفلك، وفقه اللغة. وكان المتخرجون من هذه المدارس يعينون مدرسين في المدارس الابتدائية، أو يعملون وعاظاً وأئمة في المساجد.

٣. المدارس العالية وتدرس فيها الشريعة والقانون، ويتخصص الطلبة في دراسة العلوم القرآنية والشريعة الإسلامية، كالحديث والفقه وأصول الدين، ويتعين على المتطلعين لوظائف القضاء والإفتاء أن يواصلوا دراساتهم العليا[٢].

وكانت مناهج المدارس من أمات الكتب في كافة فروع العلم، ويشترك شيخ الإسلام[٣] اشتراكاً فعلياً في امتحاناتهم، ويمنح الطالب الناجح لقب ملازم، وإنَّ المعيار فيها بالنسبة للطلبة هو استعداد الطالب العقلي فلم تكن هناك مدة للدراسة، ويتراوح سنّ الطالب عادة بين الثلاثين والأربعين، ويؤكد المؤرخ الأمريكي «ليبر» أنَّ النظام التعليمي في هيئة التعليم الإسلامية كان يفوق أي نظام تعليمي في أوروبا في ذلك الوقت[٤].

(١) ينظر: تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة: ص٥٢٠.

(٢) ينظر: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها للشناوي: ص٤٤٦ـ٤٤٧.

(٣) منصب شيخ الإسلام عبارة عن هيئة دينية أنشأتها الدولة العثمانية في القرن الخامس عشر الميلادي، وتواجدت على جميع أقاليمها، وسمي متولي المشيخة بـ:» شيخ الإسلام» بعد أن كان يسمى مفتياً قبل إنشاء المؤسسة، وتعتبر المشيخة أعلى منصب ديني في الدولة العثمانية؛ لأنَّه كان مسؤولاً عن تعيين القضاة وعزلهم، والإشراف على التدريس، والمدارس وإصدار الفتاوى، لذا فهو أهم منصب في الهيئة العلمية في نظم الدولة العثمانية، ينظر: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، مجموعة أساتذة، إشراف وتقديم: كمل الدين احسان أوغلوا، ترجمة: صالح سعداوي، استانبول، ١٩٩٩م، ص٣٠٢؛ المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية، ١٤٢.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ص٤٤٧.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.25

المطلب الثاني: تطور المدارس في عصر الضعف:

وفي عصر السلطان عبد الحميد الثاني اتجه الإهتمام بالتعليم إلى إقامة توازن بين التعليم المدني والعسكري، فأنشأ السلطان عبد الحميد المدارس المتوسطة والعليا، والمعاهد الفنية لتخريج الشباب العثماني وإعداده لتولي المناصب الحكومية، والنهوض بالدولة، كما استقدم البعثات العسكرية من خارج الإمبراطورية لتنظيم الجيش وتطوير أجهزته وأسلحته(١).

كما أنشأ المدرسة السلطانية للشؤون المالية في عام (١٢٩٥هـ/١٨٧٨م)، ومدرسة الحقوق التي كانت تخرج طلاباً للوظائف الإدارية، بالإضافة إلى القضاة، ومدرسة الفنون الجميلة، ومدرسة الهندسة المدنية، ومدرسة الطب البيطري، ومدرسة الشرطة، ومدرسة الجمارك، كما أنشأ مدرسة طب جديدة في عام (١٣١٦هـ/١٨٩٨م)، وهكذا أصبح للدولة جامعة حديثة قائمة على أسس علمية حديثة تخرج طلاباً في مختلف الاختصاصات، واعتبرت أول جامعة حديثة في العالم الإسلامي في العصر الحديث(٢).

وأول دار للمعلمين أُنشئت في عهد السلطان عبد المجيد الأول عام (١٢٦٤هـ/ ١٨٤٨م)، وأضحى عددها في عام (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م)، ثمان وثلاثين داراً منتشرة في العاصمة وضواحيها وحواضر الولايات(٣).

وأنشأ السلطان عبد الحميد الثاني عدداً من المدارس الرشيدية(٤)، التي كانت بمثابة

(١) ينظر: تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة: ص٥٢٠.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ص٥٢٠.
(٣) ينظر: الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها، للشناوي: ٣/ ١١٦١.
(٤) سميت بهذا الاسم لأنَّ تلاميذها قد اقتربوا من سنّ الرشد، ويقسم بعض الباحثين المراحل التعليمية في الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني إلى: المدارس الابتدائية (صبيان

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.25

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

مدارس متوسطة، ولكن اهتمامه الأكبر كان في المدارس العسكرية، فدعم الكليات الحربية القائمة، وأضاف إليها مدارس عسكرية أخرى في عدد من حواضر ولايات الدولة مثل: أدرنة، ومناستير، ودمشق، وبغداد، وغيرها، وأنشأ أيضاً مدرسة للبحرية العسكرية، وأخرى للبحرية التجارية(١).

وتوَّج السلطان عبد الحميد جهوده في الحقل التعليمي بتطوير مدرسة استانبول الكبرى، التي أنشأت في عهد السلطان محمد الفاتح، وأصبحت لاحقاً جامعة استانبول، وضمت في أول أمرها أربع كليات هي: العلوم الدينية، والعلوم الرياضية، والعلوم الطبيعية، والعلوم الأدبية، وعدت مدرستا الحقوق والطب كليتين ملحقتين بالجامعة(٢).

يتضح مما سبق أنَّ الدولة العثمانية لم تُهمل التعليم، وأنَّها قد سبقت دول العالم في التعليم في ذلك الوقت، يظهر هذا في عدد المدارس، ونظام التعليم، وأنَّ مدارس الصحن الثمان كانت بمثابة جامعة كبيرة، إذ فيها مراحل للدراسة الأولية، ومراحل للدراسات العليا المتخصصة، وفيها سكن للطلبة، ومرتبات شهرية، وهذا يفسِّر لنا مدى الرقي والحضارة التي كان يتمتع بها المسلمون في ذلك الوقت.

ثم تراجع المستوى التعليمي إلى مراحل متدنية نتيجة لتراجع الدولة السياسي، والجمود الفكري، وعدم الأخذ بالوسائل التعليمية الحديثة.

ثم نشط التعليم في العهد الأخير للدولة العثمانية، وحاول السلطان عبد الحميد إدخال النظم الحديثة في التعليم، وقد نجح في ذلك؛ لكنَّ المدارس كانت قليلة بالنسبة

مكتبي)، والمدارس الابتدائية العالية (الرشيدية)، المدارس المتوسطة، (إعدادي)، الجامعة (دار الفنون)، ينظر: تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة: ص٥٢٢.

(١) ينظر: الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها:٣/ ١١٦٣ـ١١٦٥ .

(٢) ينظر: تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة: ص٥٢٠.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.25

لعدد السكان مما أدَّى ضعف التعليم بالمستوى العام للشعب.

كما يلحظ أيضاً أنَّ الاهتمام بالتعليم العسكري والتعليم الديني قد فاق التعليم المدني بكثير، ولعل السبب في ذلك أنَّ الدولة العثمانية كان طابعها العام طابع الدين والغزو والجهاد، بَيْدَ أنَّ السلطان عبد الحميد حاول المساواة بينهما.

ومما أثَّر في تراجع المستوى التعليمي في الدولة العثمانية هو روح المحافظة على القديم، فهي روح متأصلة في نفوس العثمانيين جعلت التعليم ينقلب من نعمة إلى نقمة، إذ ظلت أنظمة التعليم وبرامجه جامدة لم تتطور، وفي ذات الوقت كانت الدول الأوربية تمضي قدماً في تطوير نظمها التعليمية(١).

وأمَّا ما ذكره بعض الباحثين عن العثمانيين أنَّهم استطاعوا السيطرة على أغلب العالم الإسلامي؛ غير أنَّهم لم يبذلوا جهداً يذكر في ترقية الحياة الاجتماعية والثقافية، فانتشر الجهل والتخلُّف في البلاد الخاضعة لسيطرتهم؛ فهذا بعد أنَّ دبَّ فيهم الضعف وبدأ التراجع، فكانت رقعة البلاد التي سيطروا عليها كبيرة، ولم تعد لديهم القوة الكافية لترقية الحياة الاجتماعية، ونشر التعليم بالمستوى المطلوب(٢).

المبحث الرابع: مظاهر العناية بالشؤون الدينية

المطلب الأول: الوقف:

أولاً: الوقف لغة: قال ابن فارس: الواو والقاف والفاء: أصل واحد يدل على تمكث في شيء ثم يقاس عليه(٣). فالوقف في اللغة: الحبسُ.

ثانيا: الوقف اصطلاحاً: الوَقْف:: حبس العين على ملك الواقف والتصدق بالمنفعة،

(١) ينظر: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها للشناوي: ص٤٤٨.
(٢) ينظر: التاريخ الإسلامي والحضارة الاسلامية: ص٢١.
(٣) معجم مقاييس اللغة: ٦/ ١٣٥.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.25

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

فيزول ملك الواقف عنه إلى الله تعالى على وجه تعود منفعته إلى العباد[١].

ثالثاً: أهمية الوقف: يعد الوقف من أهم نتاج الحضارة الإسلامية، حيث ظهر كتكافل اجتماعي خيري في المجتمعات الإسلامية، وقد تميز الوقف بأنَّه لا يميز طبقة من النَّاس على سواها على اختلاف أشكالهم وأجناسهم مما جعله ركناً أساسياً في تشكيل بنيان المجتمع وتكافله، ونظراً لأهميته وحرمته وضوابطه الفقهية التي حددتها الشريعة الإسلامية؛ أصبح رأسمال لا يخضع لآليات السوق المعروفة، مما ساعد على حفظ الموارد الاقتصادية ونمو عائدتها.

والوقف مؤسسة إسلامية عريقة، لعبت دوراً مهما في الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية في تاريخ الإسلام كله، إذ إنَّ أكثر مؤسسات الخدمة الاجتماعية كانت تستند إليها في العصور السابقة[٢].

رابعاً: الوقف في الدولة العثمانية: عُني العثمانيون بالأوقاف عناية كبيرة حتى أصبح من صفات أعمالهم المميزة والتي نجدها على صفحات وجوانب حياتهم المختلفة، واعتبروها من المؤسسات العامَّة الخيرية التي تخصص لخدمة الشعب.

ولم تقتصر عناية العثمانيين على الأوقاف في البلاد التي فتحوها فحسب؛ بل حافظوا على الأوقاف التي ورثوها من الدول السابقة كالسلاجقة والمماليك، ولم يخلّوا بوقفيتها، واستمروا في المحافظة عليها[٣]، وأصبحت الأوقاف من مؤسسات الدولة المهيأة للخدمات العديدة فهي إحدى مؤسساتها التي قامت بدور فعال في النمو الإقتصادي[٤].

---

(١) التعريفات الفقهية: ٢٣٩.
(٢) ينظر: الأوقاف في العصر العثماني، مراجعات كتب، مراجعة رضوان السيد: ص٢٩٣.
(٣) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية ليلماز أوزتونا: ص٤٩٣.
(٤) الأوقاف وتشكيلاتها الإدارية في الدولة العثمانية، لشامل شاهين: ص٤٧.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.25

وبحلول القرن الثامن عشر الميلادي شكَّلت أراضي الوقف ما يزيد على ثلث أراضي الدولة، فقد اعتاد السلاطين منذ القرون الأولى على ترك الأراضي المفتوحة في أرجاء الإمبراطورية دون تقسيمها بين فاتحيها(١)، ولا يستغرب إذا بلغت نسبة موارد الدولة من الأوقاف ٥٠٪ خلال القرن التاسع عشر(٢).

كما استمرت الدولة العثمانية في أوقاف المساجد والمدارس والتي كانت في عهد السلاجقة والمماليك، واستفادت كثيراً من تشكيلات الأوقاف التي كانت منتشرة في العالم الإسلامي(٣)، ولم يقف العثمانيون عند حد الإقتباس ممن سبقهم؛ بل نجد أنَّهم قاموا بتطوير مؤسسات الوقف بشكل يتناسب مع تطور الحياة السياسي والإقتصادي، حتى أصبحت مؤسسة الأوقاف من أهم مؤسسات الدولة الإجتماعية والسياسية والإقتصادية، والتي كان لها دور بارز في مساندة الدولة في مجالات متعددة(٤).

ويلاحظ أنَّ ما أوقفه آل عثمان على الأراضي المقدسة وحدها من أوقاف في أوقات مختلفة من الإمبراطورية يفوق بكثير ما أُوقِف عليها من قبل(٥).

المطلب الثاني: المساجد:

المسجد هو أفضل البقاع، وهو مصدر النور في الأرض، ولذلك رَغَّبَ الإسلام في بنائه وعمارته، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ﴾(٦).

وأُثر عن النبي ﷺ، في فضل المساجد: «أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد

(١) ينظر: الأوقاف في العصر العثماني، مراجعة رضوان السيد: ص٢٩٤.
(٢) ينظر: الأوقاف وتشكيلاتها الادارية، لشامل شاهين: ص١٠.
(٣) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية ليلماز أوزتونا: ص٤٩١.
(٤) الأوقاف وتشكيلاتها الادارية، لشامل شاهين: ص٤٨.
(٥) الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني: ص٦٥.
(٦) سورة التوبة جزء من الآية ١٨.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.25

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

إلى الله أسواقها»[1].

ومن المسجد بدأت دعوة الإسلام، وفيه تخرج القادة والسادة العظام، وهو المأوى لمن لا بيت له، ومن المسجد تخرج كبار العلماء، وجهابذة النقاد، ونحارير المفسرين، ولأجل هذه المزايا وغيرها أعنى المسلمون بالمسجد منذ عصر الإسلام الأول وإلى يومنا هذا، فكان المسجد بذلك أسبق المراكز العلمية، إذ أدَّى هذه الوظيفة قبل ظهور المدرسة. وسنتطرق إلى اهتمام العثمانيين بالمساجد فيما يأتي:

أولاً: عناية العثمانيين بالمساجد بصورة عامَّة:

وقد عرفت الدولة العثمانية هذا النوع من المراكز العلمية، وأخذت حركة بنيان المساجد والجوامع وعمارتها تزدهر فيها، حتى عُدَّت مدن عثمانية وعلى رأسها استانبول بـ»مدينة الجوامع[2]» فمثلاً: رغم هدم الروس في القرم جوامع كثيرة من سنة **١٧٧١**م الى سنة **١٨٠٥**م، إلّا أنَّه في سنة **١٨٠٦**م كان فيها (**١٥٥٨**) جامعاً، و(**٥١٣٩**) إماماً ـ خطيباً، وفي عام **١٩١٤**م كان قد بقي **٩٤٢** إماماً وخطيباً، فضلاً عن سائر قراها، كما شيد الفاتح في عهد سلطنته خلال **٢٨** عاماً من عام (**١٤٥٣** إلى **١٤٨١**م) **١٩٢** جامعاً ومسجداً، **٩٥** منها سالمة ومفتوحة للعبادة.

وقد كانت المساجد في الدولة العثمانية منشآت خيرية، تضم مدرسة ومكتبة تحفل بكنوز من الثراء الفكري الإسلامي، سواء باللغة العربية، أو التركية، أو الفارسية،

(١) رواه مسلم في صحيحه: كتاب المساجد ومواضع الصلاة/ باب أحب البلاد إلى الله مساجدها، **١/ ٤٦٤**، برقم: **٦٧١**.

(٢) وكان العثمانيون يطلقون على المساجد التي تصلى فيها جمعة «جامع» واستعملت كلمة المسجد للجوامع الصغيرة التي لا تصلى فيها جمعة ولا تقرأ فيه الخطبة، ينظر: تاريخ الدولة العثمانية ليلماز أوزتونا **٤٩٦**.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.25

وكانت المدرسة أو المعهد الملحق بالمدرسة تتسع لسكنى الطلاب والأساتذة، كما كانت تضم هذه المباني حماماً ومطبخاً، وداراً للعجزة، وكبار السنِّ ومستشفى، وفندقاً صغيراً ينزل به الغرباء، ويطلق عليه الخان[1]، وكان المسجد الكبير وما يلحق به من هذه المؤسسات يبدو كأنَّه مدينة مستقلة للأعمال الخيرية العامة، مثل: مساجد محمد الفاتح، وأحمد الأول وسليمان باستانبول، وكان التعليم في المساجد يجري جنباً إلى جنب مع التعليم في المدارس.

وكان ينفق على هذه المساجد وتوابعها والموظفين الذين يعملون في هذه المنشآت من إيراد الأراضي الزراعية الموقوفة على الهيئة الإسلامية[2].

وقد لفت اهتمام العثمانيين بالمساجد أنظار الغربيين، وأثار حفيظتهم، ونال إعجابهم، مقارنة بما يرونه من اهتمام النصارى بالكنائس، حتى قال أحدهم: «إنَّ جوامع الأتراك عظيمة جداً، عظمتها ليست في طرازاتها المعمارية، تلفت النظر من حيث الموارد التي وقفها مؤسسوها، ومن حيث عدد المعوزين الذين تؤمن حاجاتهم من هذه الموادِّ، إنَّ هذا الوضع يشكل عاراً بالنسبة لنا نحن المسيحين الذين نتبرع بالقليل من أجل الكنيسة»[3].

وكانت عمارة الكنائس أمام عمارة المساجد في الدولة العثمانية متخلفة جداً؛ لأنَّ الكنائس كانت عبارة عن أبنية جافة، ليس فيها نور، أمَّا المساجد فكانت أبنية ممتلئة بالسعادة والفرح لما فيها من نور يجعل القلوب مطمئنة، ونور يعكس نور الإيمان بكل جوانبه.

ويطلق العثمانيون على المسجد الذي يحتوي على أكثر من مئذنة واحدة «سلاطين

(١) الخان كلمة فارسية تعنى: الفندق حكاه سيبويه، ينظر: لسان العرب، ١٠/ ٣١٣.
(٢) ينظر: صفحات من تاريخ الدولة العثمانية: ص٣٩.
(٣) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية ليلماز أوزتونا: ص٤٩٦.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.25

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

جامعي» أي جامع سلطاني[1]، ويوجد منها في استانبول **٣٨** جامعاً، كما اعتبر جامع آيا صوفيا أكبر جامع لمركز الدولة العثمانية.

ولم يقتصر اهتمام العثمانيين بالمساجد على مركز الدولة فحسب؛ بل شهدت المساجد في مراكز المدن الكبيرة كالحرمين الشريفين والمسجد الأقصى، والقاهرة وبغداد ودمشق اهتماماً كبيراً ففي القاهرة خلال الحكم العثماني شيَّدت الدولة العثمانية **١٤١** مسجداً ومدرسة، كما شهدت تطوراً عمرانياً أيضاً تمثل ببناء **١٠١** وكالة تجارية و**١٧** خاناً، فتضاعف نمو المناطق الاقتصادية وزادت مساحة القاهرة العمرانية **٥٠**٪، فكانت القاهرة المدينة الثانية بعد إسطنبول، وكانت عامرة بالقصور والتكايا والمدارس والجوامع والحمامات العامة والأسواق والحدائق[2].

كما شملت العناية العثمانية المساجد الكبرى في الدولة، كالأزهر بمصر والجامع الأحمدي بطنطا، والدسوقي، وجامع إبراهيم باشا بالإسكندرية، وقد ألزم الشيوخ المتخرجون فيها بتأدية امتحانات، لنيل إجازة التعليم، واعتراف الحكومة بهم أنهم معلمون.

ثانياً: الحرمين الشريفين:

أولى العثمانيون الحرمين الشريفين عناية فائقة، فساهموا في خدمتهما وتوفير أسباب الراحة لزوار البيت الحرام، ولا عجب في ذلك فالمسجد الحرام مهبط الوحي، وأحب البقاع إلى الله تعالى، وأول مسجد بني في الأرض، لذلك تنوعت صور عنايتهم به، ولعلَّ من أبرزها: الوقف عليه.

كما سَطَّر السلاطين والعلماء والأمراء، والأغنياء، أروع الأمثلة في الوقف على الحرمين

(١) ينظر: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية: ص٧٩.
(٢) تاريخ مصر في عهد الخديو إسماعيل باشا من سنة: **١٨٦٣**م إلى سنة **١٨٧٩**م: ص١٦.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.25

والعناية بهما، وبفقرائهما المجاورين[١]، ولم يقتصر الأمر على الرجال؛ بل إنَّ النساء كان لهن اهتمام كبير بالمسجد الحرام وقد أوقفن الأموال عليه[٢]، ومن ذلك أوقاف والدة السلطان عبد المجيد؛ إذ أوقفت أوقافاً للمسجد الحرام، ووفرت العلاج المجاني للمرضى، ومن أوقافها في الحرم مبنى صحي لاستقبال المرضى يحتوي على أسرة وأدوية[٣]. وبهذا يتبين لنا الدور الإنساني الذي سطرته السلطانة، وما ينبغي أن تكون عليه النساء.

وإنَّ أول من أطلق على نفسه خادم الحرمين الشريفين هم السلاطين العثمانيون؛ لعلمهم البالغ بمكانة الحرمين الشريفين وأهميتهما وقدسيتهما، وكان ذلك في عهد السلطان سليم الأول سنة: (٩٢٢هـ/١٥١٧م)[٤].

كما برز اهتمام العثمانيين في الحرمين من خلال الوقف عليهما حتى إنَّ ما أوقفوه على الأراضي المقدسة وحدها من أوقاف في أوقات مختلفة من الدولة يفوق بكثير ما أُوقِف عليها من قبل[٥].

يتضح لنا مما سبق مدى عناية الدولة العثمانية بالحرمين الشريفين، وقد تبين ذلك من خلال الأوقاف، والهبات، والترميم، والإيعاز إلى والي الحجاز لزيادة العناية بالحرمين، وتنظيم شؤونهما.

ثالثاً: عنايتهم المسجد الأقصى:

(١) ينظر: العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين: ٣/ ١٦٥.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٦/ ٣٩٦.
(٣) ينظر: أوقاف المسجد الحرام بمكة المكرمة، تنظيمها وإدارتها في العهد العثماني: ص٥٧.
(٤) ينظر: تاريخ الدولة العلية للمحامي: ص١٩٣.
(٥) الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني: ص٦٥.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.25

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

دخل العثمانيون بيت المقدس في الثامن والعشرين من كانون الأول ديسمبر سنة **١٥١٦**م، الموافق الرابع من ذي الحجة سنة **٩٢٣**ه[١]. وبعد يومين من دخولهم قام السلطان سليم الأول بزيارة خاصة للمدينة، وكان سلاطين بني عثمان يكنّون احتراماً خاصاً لبيت المقدس بوصفه أحد المساجد المقدسة في الإسلام، وثاني مسجد وضع في الأرض، ففي فترة **١٥٦٦**م، في عهد السلطان سليمان القانوني نعمت مدينة القدس بأزهى أيامها خلال العهد العثماني.

بدأ السلطان سليمان القانوني عهده بترميم شامل لقبة الصخرة في أواسط القرن السادس عشر الميلادي ـ العاشر الهجري، فأنشأت زوجته التكية[٢]، سنة **١٥٥١**م وهي مؤسسة مُهمّة، وسرعان ما أصبحت أهم مؤسسة خيرية في فلسطين.

وأسهمت الأوقاف العثمانية بتشغيل المواطنين في مؤسساتها المختلفة، حيث يتبع لها زهاء **٥٥٩** موظفاً وموظفة يعملون في المجال الإداري وحراسة المسجد الأقصى، بالإضافة إلى السدنة المُوكل إليهم مهمة الحفاظ على نظافة المكان المقدّس وتهيئته للعبادة وممارسة الأنشطة الأخرى، مِا أسهم في دعم نحو **٥٠٠** عائلة في المدينة المحتلة[٣].

كما أنَّ للأوقاف دور مهم وبارز في مساندة الدولة في مجالات عديدة، ساهمت في حلِّ الكثير من المشاكل التي تعاني منها الدولة، مثل:

أ. تمويل الدراسات والبحوث والأنشطة الأكاديمية، والإنفاق على الطلبة، وعلى

(١) منشآت السلاطين: ص٨١.

(٢) تكية: هي مفرد كلمة تكايا، وهي مكان اجتماع الصوفية لإقامة الأذكار والصلوات، كما كانت مقراً لتوزيع الطعام على الفقراء، وإقامة الغرباء بشكل مؤقت، ينظر: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية: ص٧٥.

(٣) المصدر نفسه: ص٧٩.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.25

المؤسسات التعليمية المختلفة، وإنشاء المستشفيات.

ب. إنشاء الطرق والجسور وخدمات المياه وتوصيلها إلى المدن، وخدمات المرابطين، والفقراء والمحتاجين[١].

ج. كما حرصت الدولة على تعيين النُظّار[٢] والمتولّين للإشراف على الأوقاف الخيرية[٣]، وقد شملت الأوقاف معظم مصادر الثروة الاقتصادية في العهد العثماني: كالأراضي الزراعية، والدور، والدكاكين، والمعاصر، والحمامات، والطواحين، والمدابغ، ومخازن الغلال، والسفن التجارية، والنقود[٤].

وإنَّ أهم مظاهر رعاية الدولة العثمانية للأوقاف:

١. تنظيم شؤون الوقف.

٢. توفير المستلزمات اللازمة للمؤسسات الوقفية.

٣. توفير الأمن للأهالي العاملين في المؤسسات الوقفية.

٤. حرص الدولة على حماية وجود المؤسسات الوقفية ومصالحها.

٥. تصدي الدولة للتجاوز على المؤسسات الوقفية.

٦. حرص الدولة على خدمات الأماكن الموقوفة[٥].

ثم صارت للأوقاف تشكيلات إدارية تشرف عليها الدولة، وصدرت لها عدة قوانين

(١) المصدر نفسه: ص ٤٥ – ٤٧.

(٢) النُظَّار جمع ناظر: وهو متولٍّ إدارة أموال وممتلكات أو أمرٍ إداريّ أو سياسّي، ويطلق على ناظر المدرسة ـ الضّيعة ـ الوقف ـ ناظر المحطّة ـ المسئول عن محطة الحافلات أو القطارات. معجم اللغة العربية المعاصرة: ٣/ ٢٢٣٣.

(٣) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية: ص٤٩٧.

(٤) المؤسسات الوقفية في العهد العثماني: ص٧٦.

(٥) المؤسسات الوقفية في العهد العثماني: ص٧٦ـ ٧٧.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.25

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

لتنظيم شؤونها، ولا يزال الكثير من هذه القوانين معمولاً بها إلى يومنا هذا[1].

الخاتمة

ومن خلال ما تقدم يذكر الباحثان أهم النتائج التي توصَّلا إليها، فإن أثر الحضارة والعلم والوقف في الدولة العثمانية فيما يلي:

ساهمت الدولة العثمانية في كثير من جوانب الحياة، وقد وصل الى مستويات رفيعة لم يُر مثلها في التاريخ الإسلامي، ومن هذه الجوانب:

١. كان للمدارس والحضارة التي امتازوا بها، والوقف من الدور الكبير في نشر الإسلام في دول جزيرة البلقان، ونشوء مدن جديدة فيها، وقامت الأوقاف بإنشاء البنى التحتية لهذه الأوقاف، من جوامع، ومدارس، وأسواق، وقنوات مياه، وأراضٍ وبساتين وغيرها.

٢. بلغت مساحة الأراضي التي سيطرت عليها الدولة العثمانية أكثر من عشرين مليون كيلومتراً مربعاً، أي ثلاثة أضعاف الولايات المتحدة الأمريكية الآن.

٣. عُني العثمانيون برفع المستوى التعليمي عناية كبيرة، حتَّى إنَّ المستوى التعليمي في عصر القوة للدولة فاق التعليم في أوروبا نفسها، غير أنَّ ذلك لم يغطِ حاجة الدولة مقارنة بمساحة الدولة الجغرافية؛ ولعلَّ السبب في ذلك انشغالهم بالجوانب العسكرية من جهة، واتساع رقعة الدولة من جهة أخرى.

٤. وعُني العثمانيون بالوقف أيضاً عناية فائقة، حتى شكَّلت عائدات الوقف في بعض الأوقاف ثلث إيرادات الدولة، كما نهضت الأوقاف بالدولة في أوقات حاجتها، ولا غرو في ذلك فالوقف يمثل أعظم تكافل اجتماعي عرفته الإنسانية، وقد سبق منظمات حقوق

(١) الوقف الإسلامي والأنظمة الخيرية الغربية: ص٩١.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.25

الإنسان الساعية في إيجاد أفضل القوانين للتكافل الاجتماعي.

٥. لم تخضع وظائف العلماء والمدرسين لأي سلطان غير سلطان الشريعة، فكان تمويلهم من الأموال الموقوفة، وبهذا تمت المحافظة على القيم الإسلامية العالية في الواقع التعليمي[١].

يتضح مما سبق مدى اهتمام الدولة العثمانية بالمؤسسة الوقفية، وتنظيم شؤونها، والمحافظة على التراث الموقوف، وأثر الوقف في الدولة إذ ساهم في ترقية الحياة الاجتماعية، والحياة الفكرية، إذ كان يوقف على المؤسسات التعليمية والدينية مما ساهم في قوة هذه المؤسسات.

ولم يقتصر الوقف على السلاطين فحسب؛ بل سار على نهجهم أمهاتهم، وأزواجهم، وأتباعهم، كما سطَّر الوزراء والتجار والأعيان والأغنياء أمثلة رائعة في الوقف.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم:

١. الأتراك العثمانيون وحضارتهم لكارل بروكلمان، ترجمة د. نبيه أمي فارس، ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين ـ بيروت، ط١، ١٩٤٩م.

٢. أوقاف المسجد الحرام بمكة المكرمة، تنظيمها وإدارتها في العهد العثماني، (١٢٤٧-١٣٣٧هـ/١٨٣٨-١٩١٨م)، رسالة ماجستير لعلياء فياض أحمد الفياض، ١٤٣٠/٢٠٠٩، جامعة الملك سعود.

٣. الأوقاف في العصر العثماني، مراجعات كتب، مراجعة رضوان السيد.

(١) الأوقاف وتشكيلاتها الادارية: ص٤٥ - ٤٧.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.25

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

٤. الأوقاف وتشكيلاتها الإدارية في الدولة العثمانية، لشامل شاهين.
٥. التاريخ الإسلامي ـ العهد العثماني، لمحمود شاكر، المكتب الإسلامي، ط٨، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٦. التاريخ الإسلامي والحضارة الاسلامية للدكتور أحمد شلبي، القاهرة، ١٩٦٩م.
٧. تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، للدكتور خليل اينالجيك، ترجمة: د. محمد الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، ط١، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٢م.
٨. تاريخ الدولة العثمانية، ليلماز أوزتونا، ترجمة عدنان محمود سلمان، مراجعة وتنقيح محمود الأنصاري، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا استانبول ١٩٨٨م.
٩. تاريخ الدولة العلية العثمانية، لمحمد فريد بك المحامي، تحقيق: د. إحسان حقي، دار النفائس، ط١، ١٤٠١ه ـ ١٩٨١م.
١٠. تاريخ الدولة العلية العثمانية، لمحمد فريد بك المحامي، تحقيق: د. إحسان حقي، دار النفائس، ط١، ١٤٠١ه ـ ١٩٨١م.
١١. تاريخ الشعوب الإسلامية لكارل بروكلمان، ترجمة: نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، ط٥، دار العلم للملايين ـ بيروت، ١٩٧٣م.
١٢. تاريخ الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري لشيخ المفسرين محمد بن جرير، أبي جعفر الطبري (ت: ٣١٠ه)، صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، (ت: ٣٦٩ه)، دار التراث – بيروت ط٢ – ١٣٨٧ه.
١٣. تاريخ العثمانيين من قيام الدولة الى الانقلاب على الخلافة، أ.د محمد سهيل طقوش، دار النفائس، بيروت لبنان، ط٣، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.
١٤. تاريخ مصر في عهد الخديو إسماعيل باشا من سنة: ١٨٦٣م إلى سنة ١٨٧٩م، تأليف: إلياس الأيوبي، مؤسسة هنداوي.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.25

١٥. التعريفات الفقهية، لمحمد عميم الإحسان المجددي البركتي، الناشر: دار الكتب العلمية ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
١٦. الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، لعبد الجليل التميمي، منشورات مركز البحوث والدراسات العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، ١٩٨٨.
١٧. الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، لعبد الجليل التميمي، منشورات مركز البحوث والدراسات العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، ١٩٨٨.
١٨. دراسات في الحضارة والمدنية، أحمد ابراهيم الشريف، دار الفكر العبي ـ بيروت.
١٩. الدولة العثمانية النشأة الازدهار، لسيد محمد السيد محمود وفق المصادر العثمانية المعاصرة والدراسات التركية الحديثة، د. سيد محمد السيد محمود، مكتبة الآداب القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
٢٠. الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، للأستاذ الدكتور عبد العزيز محمد الشناوي، مكتبة الإنجلو مصرية، القاهرة ـ مصر، ١٩٨٠م.
٢١. الدولة العثمانية في الروايات العربية زمن الخيول البيضاء أنموذجاً، لNisreen OQLAH جامعة سكاريا ـ قسم اللغة العربية.
٢٢. الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، مجموعة أساتذة، إشراف وتقديم: كمل الدين احسان أوغلوا، ترجمة: صالح سعداوي، استانبول، ١٩٩٩م.
٢٣. سلم الوصول إلى طبقات الفحول، لـ«حاجي خليفة» (ت:١٠٦٧ه) تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، الناشر: مكتبة إرسيكا، إستانبول ـ تركيا، سنة: ٢٠١٠م.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.25

ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol.2.Special.1/ (2020-2021)

٢٤. سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، (ت: ٧٤٨ه)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة ـ ط٣، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٢٥. صحوة الرجل المريض، لموفق بني المرجة، مؤسسة صقر الخليج ـ الكويت، ١٩٨٤م.

٢٦. صفحات من تاريخ الدولة العثمانية، د. جمال عبد الهادي محمد، و د. وفاء محمد رفعت، و أ. علي أحمد لبن، دار النشر والتوزيع الإسلامية.

٢٧. العثمانيون في التاريخ والحضارة، سلسلة دراسات عثمانية، ١٤١٤ه ـ١٩٩٤م، المركز المصري للدراسات العثمانية، القاهرة د. محمد حرب.

٢٨. العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين، لتقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسى المكي (ت:٨٣٢ه)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٩٩٨م.

٢٩. قيام الدولة العثمانية، لمحمد فؤاد كوبرلي، ترجمة أحمد السعيد سليمان، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.

٣٠. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري المعروف بابن منظور، دار صادر ـ بيروت ط١، ١٤١٤ه.

٣١. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ للإمام ابي الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت:٢٦١ه)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٣٢. معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤ه) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

٣٣. المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية، للدكتور سهيل صبان الرياض: مكتبة

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.25

الملك فهد، سنة: ٢٠٠٠.

٣٤. معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبي الحسين (ت:٣٩٥ه)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٣٥. منشآت السلاطين، فريدون احمد، ٣٤٨.

٣٦. المؤسسات الوقفية في العهد العثماني، لعمر قطناني، مجلة دراسات بيت المقدس، ٢٠١٧م. . الوقف الإسلامي والأنظمة الخيرية الغربية المشابهة ـ نحو شراكة حضارية إنسانية، مجلة أوقاف، العدد ال ٣٥ ـ السنة الثامنة عشرة ـ ربيع الأول ١٤٤٠هـ/ نوفمبر ٢٠١٨م.

Doi:10.37940/RJIS.2021.2.Speci.1.25